تخطيط المدن الشرقية

خطب الاستاذ برسفورد بيت خطبة في تاريخ البناء القديم في فلسطين وسورية لخصناها بما يلي :

ان العالم الغربي مديون بديانته للعبرانيين القدماء وبشرائعه للرومان وبفنونه لليونان . ولم يكن للعبرانيين فنون اهلية لان دينهم كان يحرّم عليهم النقش والتصوير . وما وجد في آثارهم من البناء والزخرفة انما اصلهُ مصريّ وقد كان بانو هيكل سليمان فينيقيًّا وهو حيرام الصوري

وفي اوائل العهد الجديد اي اوائل العصر المسيحي اشتهر الملك هيرودس بالبناء ولكن المدن التي خططها كانت مدناً رومانية . وقد تغير طرز البناء الروماني في فلسطين بعض التغير بقدوم المسيحية. ومن عهد تأسيس القسطنطينية صار يحسب مسيحيًّا فبنيت الكنائس الكبرى في اماكن اشتهرت في الكتاب المقدس كبيت المقدس . ثم ظهر الاسلام في القرن السابع فانحط فن البناء المسيحي وازهر فن البناء العربي البديع . وبقي هذا العهد الى ايامنا هذه ولكنهُ وقف مدة طويلة بسبب الحروب الصليبية . ومن ابهج المناظر في فلسطين مناظر الآثار القوطية التي بناها الانكليز والفرنسويون فوق الآثار العربية وهي كنائس تأخذ بالقلب ويفوق رونق بنائها وصف الواصفين وقلاع من الحجارة وغيرها من الاستحكامات الحربية كالقسم الفوقي من اسوار القدس . وقد بنوها في خلال المدة التي حكموا البلاد فيها ايام الحروب الصليبية وهي ١٢٥ سنة

اما القدس الحديثة ففي خارج اسوارها ضواحٍ قامت فيها ابنية من الطرز الحديث وفي احيائها المختلفة التي داخل الاسوار بنت الحكومات الاوربية منازل شائقة لايواء الغرباء من هندسة المهندسين الاوربيين. والبلاد التي حول القدس فيها كثير من الحجر الكلسي القاسي ولكنهُ دون الرخام في قساوته . وفيها ايضاً بعض الصخور البركانية الصلدة ولكنها دون الغرانيت في صلابتها . والصعوبة الكبرى في البناء هي مسئلة الطين لعدم وجود الرمل بالقرب من المدينة . وقد تغلّب البناؤون عليها بنحت الحجارة نحتاً دقيقاً. وعند بنائها تملأ الشقوق التي بينها بمادة مصنوعة من الخزف المسحون والكلس مجبولين بزيت الزيتون . اما من

الداخل فتطلى الجدران بطين معصوع من الكلس والتراب

واعظم من صعوبة قلة الرمل قلة الماء . فان متوسط ما يقع من المطر في القدس نحو ٢٧ بوصة في السنة . وهو يقع كلهُ في ثلاثة اشهر من السنة فيضطر الباني ان يحفر صهريجاً لجمع الماء فيهِ والاَّ اشتراهُ بالقرب من السقاة. والخشب في فلسطين قليل اذ ليس فيها من اشجاره سوى الزيتون والسنديان . وجذوع اشجارهما قصيرة متعوجة . اما الارز الذي استعمل حيرام خشبهُ في بناء هيكل سليمان فنفد من جبال لبنان ولا يوجد منهُ الآن سوى غابتين

وتكلم الخطيب ايضاً على بقايا الرومان في دمشق وتدمر وبعلبك وغيرها من المدن الشرقية فقال ان طرز البناء الروماني واحد من انكلترا الى فارس . فهناك العمود الكورنثي والكرنيش الروماني وليس ثمة تغيير في الحفر والنقش والقالب. وكذلك تخطيط المدن فانهم اتبعوا فيهِ اسلوباً واحداً لم يحيدوا عنهُ . فاذا ارادوا بناء مدينة جديدة خططوها كما يخطط معسكر الجند . واذا امتلكوا مدينة ما فاذا كانت حسنة التخطيط والبناء تركوها وشأنها والاَّ غيروا وبدلوا ما شاؤوا كما فعلوا بدمشق وغيرها من معظم مدن الشرق. فان دمشق من اقدم مدن الدنيا كانت زاهية زاهرة في عهد ابرهيم الخليل . وتخطيطها كتخطيط سائر المدن القديمة — هيكل كبير في مركزها والمنازل تحفهُ من هنا وهناك فهي بذلك كمكة والكعبة في قلبها وروميه والكابتول في مركزها . وهيكل دمشق القديمة بني تذكاراً للاله رمون كما بنى الرومان هيكل جوبتر في بعلبك ليحلَّ محلَّ هيكل بعل فيها . ولم يبقَ من هيكل بعل اثر يدلُّ عليهِ بخلاف هيكل جوبتر فان آثاره باقية الى الآن. اما اسلوب الرومان في تخطيط المدن فهاك خلاصتهُ : يأخذون نقطة قرب الهيكل يحسبونها مركز المدينة ثم يمدّون شارعين كبيرين متقاطعين عند تلك النقطة على زوايا قائمة . ولا يزال هذان الشارعان ظاهرين في آثار تدمر . ففي وسط كلٍّ منهما طريق مرتفعة للمركبات عرضها ٣٧ قدماً وعلى جانبيها صفَّا اعمدة علوّ كل منهما ٥٠ قدماً . وعلى جانبي الاعمدة طريقان للسابلة عرض كلٍّ منهما ١٦ قدماً وعلى حذائهما الاعمدة كالشارع الاوسط . وهما مسقوفان لوقاية المارين من الشمس والمطر . وعند كلِّ بوابة من بوابات المدينة ومحلِّ تقاطع الشارعين قوس للنصر . انتهى باختصار